بينَ لسانياتِ النص وتحليل الخطاب
موازنة في المصطلح

Text Linguistics and Discourse Analysis: A Balance between the two Terms

د . خالد حوير الشمس
جامعة ذي قار/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

Dr. Khaled Hoir Al-chamms

ملخص البحث

ينظر البحث في شيء من الجدل بعد تصاعد أصوات خلطت بين مفهومي لسانيات النص وتحليل الخطاب ، فيطمح الباحث فيه الى دفع ذلك الوهم، والتفريق بينهما عن طريق الإحاطة بمفهوميهما وإجراء موازنة.

لتحقيق ذلك سار البحث على وفق خطة تمثلت بأربعة محاور، تكفل الأول منها ببيان النص، ومفهوم لسانيات النص، ثم انتخاب أربع نظريات ليخلص القارئ الى طبيعة هذا الفرع اللساني، وهذه النظريات تابعة للمؤسسين وهم: هاليداي ورقية، فان دايك، دي بوكراند، بيتوفي، والخروج بنتيجة مفادها أنَّ هذا المنهج يقوم على النسق اللغوي بلحاظ الاستعمال التداولي المتمثل بأفعال الكلام.

واعتنى المحور الثاني بذكر الذين تبنوا الترادف بين المصطلحين، فكانوا من الغربيين والعرب، بعضهم كانت ممارسته المزجية واعية على وفق مشروعه اللساني، وبعضهم ترداد وتلقين لاسيَّما العرب، وبعضهم واصف من الغرب والعرب أيضا. ومهمة المحور الثالث بيان مفهوم الخطاب والمنهج الذي يدرسه هو تحليل الخطاب لدى أربعة رواد من رواده وهم: باختين، وهاريس، وبراون ويول، ونورمان فاكلوف، فاتضح أنَّه ينطلق من النسق اللغوي مع لحاظ القواعد المحرِّكة له لاسيَّما المجالات السياسية، والاجتماعية مع الإفادة من الاستعمالات الموقفية. ليأتي محور الختام الرابع ليركز على أسباب الخلط بين المصطلحين خالصا إلى نتيجة الوهم في المساواة بينهما وهذا ما يبتغيه البحث

Abstract

The research attempts to pin point the concepts of text Linguistics and discourse analysis because of the controversies that have intermingled these concepts.The study attempts to pave away that illusion by separating between them . To achieve this aim ,the research is divided into four sections. The first clarifies the terms text, text Linguistics and then it chooses four theories in order to explain to the reader the nature of this branch of linguistics . These theories are: Halliday and Hassan , Van Dike, De Bougrand , Petofi.It is concluded that this approach depends on linguistic arrangement and the performance of speech acts.

The second section focuses on those figures who support the synonymity of the two terms; they were Westerners and Arabs. The third section explains the concept of discourse analysis according to four pioneers : Bachteen , Harris, Brown ,Yule, and Norman Fairclough. The fourth section concludes the research by focusing on the cause of the confusion that accompanies the two terms, which is the result of illusion of sameness between the two.

ديباجةُ البحث وهدفه

ينظرُ هذا البحث في شيء من الجدل الناتج من تصاعد أصوات خلطت بين مفهومي لسانيات النص وتحليل الخطاب، فيطمح الباحث فيه إلى دفع ذلك الوهم والعزل بين المصطلحين عن طريق الإحاطة بمفهوميهما وإجراء موازنة.

والخطة التي وضعت لذلك هي بيان مفهوم النص ، وما يتعلق به، أو ما يدرسه وهو علم لسانيات النص في المحور الأول. وتسجيل الدعوات التي تخلطه مع تحليل الخطاب بناء على أسباب في المحور الثاني. ثم التحري عن مفهوم الخطاب، وعن مفهوم العلم الخاص به وهو منهج تحليل الخطاب بالرجوع الى نظرياته لدى المؤسسين والرواد نحو هاريس، وباختين، وبراون ويول، ونورمان فاكلوف، وعندها ستتضح الرؤية ويتميز الفرق بينهما في المحور الثالث. وختم البحث بمحور رابع اعتنى بذكر الأسباب التي أدت الى الخلط بين المصطلحين.

المحور الأول : مفهوم لسانيات النص

قبل المباشرة بمفهوم لسانيات النص لابد من تعريف النص وتسجيل حدوده، فله مفاهيم يصعب حصرها، والسبب في ذلك أنَّه يتوقف على الطبائع التي تكوِّنه، والمناهج التي تتبناه، وقد قسمتُ تعريفاته على اتجاهات هي: الاتجاه الشكلي، والاتجاه البنيوي، والاتجاه التكويني (التماسك النصي)، والاتجاه الدلالي، والاتجاه الإنتاجي، والاتجاه البنيوي/ الوظيفي[١]، الذي تبنَّاه شميث ولخصه بقوله: ((النص هو كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل، يحدد من جهة الموضوع، ويفي بوظيفة تواصلية يمكن تعرّفها. أي يحقق كفاءة إنجازية يمكن تعرفها))[٢]. وقد يترجح هذا التعريف لتوافر المعايير التي وضعها النصيون لتحديد النص وهي: ((كون النص منطوقا أو مكتوبا أو كليهما. مراعاة الجانب الدلالي. مراعاة التحديد الحجمي (طول النص). مراعاة الجانب التداولي. مراعاة حجم السياق، وهو متعلق بالمعيار السابق. مراعاة جانب التماسك، وهو أهم المعايير التي يقوم عليها التحليل النصي. مراعاة الجانب الوظيفي للنص. مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي. الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية، مثل الكفاءة والأداء، وغيرهما. إبراز كونه مقيدًا))[٣]. و يذكرنا أيضا بالشروط التي وضعها فان دايك للنصية وهي تقوم على الحدسي الذي تحصره قواعد اللغة. وعلى زاوية التعالق الدلالي/ الانسجام. وجهة أفعال الكلام، والقيمة التداولية فيه [٤].

من رجاحة هذا التعريف يتبين أنَّ النص ذاكرة واسعة المديات تقوم على خلايا تتكون من البنية، والوظيفة، ومساحات التلقي بين الباث والمستقبل، والتحليل الذهني، والرؤية التي تنفرد بتحليله، ودراسته من مخرجات ما بعد البنيوية جاءت ردة فعل عليها، وعلى السيميائية، وتلاشي البند البلاغي سميت بـ(علم النص).

ولست بمحتاج أن أقف على مفهوم هذا العلم، والتأصيل له، وبيان ظروف نشأته، لأنه أصبح من بديهيات الدرس اللساني الحديث؛ لمرور أكثر

من خمسين سنة على ظهوره، وكثرة التأليفات، والترجمات حوله، والدراسات التطبيقية العربية فيه. والأمر المهم تحصيله ذكر الوظيفة الأساسية له، وهي البحث عن النصية التي تميز النص من غيره عن طريق رصد الإمكانات التي أتاحها النظام اللغوي في رصفه المتكون من اللغوي والميتا لغوي مما يوصله الى درجة المقبولية والمناسبة [٥].

وقد تعددت النظريات التي تفتش عن تلك النصية، سأعرض بعضًا منها باختصار غير مخل، ومن جرَّاء هذا العرض الموجز تتكون فكرة بسيطة عن هذا العلم لموازنتها بمفهوم تحليل الخطاب الذي ساواه معه بعض المؤسسين نحو: فان دايك، وبعض الغربيين أيضًا ناهيك عن العرب.

ونظريات هذا الفرع اللساني متعددة فضلتُ انتخاب بعض منها للخروج بصورة مختصرة عنه تمكننا من الإلمام به وبمعطياته. ومن تلك النظريات ما قدمه هاليداي ورقية حسن في كتابهما (الاتساق في اللغة الانكليزية)، فقد بحثا الكيفية التي يتماسك بها النص، وهذا يتأتى عبر خمسة منافذ لسانية موزعة على النحو، والمعجم وهي: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي[٦]. وهذه التشكيلات اللسانية تعد شرطًا في الحكم على نصية النص، وعلى ما ليس نصًا) [٧]، يجري ذلك بالنظر الى السياق.

ومن أهم النظريات نظرية فاينريش التي تنطلق من النظر الى الجملة بمساواة النص، والتعامل معه بأنه وحدة مترابطة الأجزاء أي الجمل التي ترتبط سابقتها بلاحقتها وبالعكس، أي أن النص عنده نسق لغوي تدعمه تفاعلات تواصلية. تقوم تلك البنى اللغوية في نظره على تجزئة النص الى العناصر النحوية المتمثلة بأقسام الكلام، وإلى عناصر الجملة المتمثلة بالروابط، والموضوع، والمحمول، وما يشبهها مما يقوم على ترابط العلاقات، أو التماسك بين مكونات النص، أو مكونات الجملة مع الإفادة من الجانب الدلالي في بعض التراكيب النحوية ، لكن الحكم يبقى على أن نظريته نحوية الطراز[٨].

وتقوم نظرية فان دايك النصية على ثلاثة محاور، الأول: هو ترابط النص بأدوات الوصل، والفصل، والشرط، والاستدراك، وغيرها. ثم الثاني: وهو اتساق فحوى الخطاب عن طريق ترتيب أحداث النص، والبنيات الكبرى. الى أنَّ يصل إلى المحور الثالث مشتملا على المكون التداولي المتمثل بالأفعال الإنجازية، وأثرها في تكوين النص وإنتاجه، وفي هذا المحور رد على كثير من المزاعم لدى المتشبثين بدعوى عدم ارتكاز علم النص على المسار التداولي، بل يصرح مباشرة بهذا الأمر بقوله: ((وإنَّ ما نريد أن نشرع فيه هنا من بحث واستكشاف إنما يتأسس على قضيتين مسلَّمتين تتعلقان بالنظرية اللسانية بوجه عام وبميدان النحو بوجه خاص مما له اتصال وثيق بتلك المشاكل. وتدعي المسلَّمة الأولى أنَّ البناء النظري للعبارات على المستويين الصُّوري والدلالي ينبغي أنْ يكمل ويتمم بالمستوى الثالث أعني فعل الكلام)) [٩].

إلا أنَّ ما يطرحه فان دايك من دعوات في كتابيه النص والسياق، وعلم النص مدخل متداخل الاختصاصات

تنحو نحو دراسة النص في ضوء ما يؤسس له من لسانيات للخطاب تفترق عن الدراسة السيمانطيقية، وترتكز على الظواهر الدلالية والتداولية مع الإفادة من السياق[١٠]. وقد حاول أن يأخذ بعلم النص نحو تحليل المحادثات اليومية، والممارسات الأُخر، وهذا يتضح بقوله: ((ومن المفيد - بشرط أن يوجد الاستعمال، والاتصال، والتفاعل في شكل نصي خاصة- أن تحلل في علم للنص متداخل الاختصاصات تحليلًا منظمًا أشكال نصية، وأبنية نصية مختلفة، وشروطها، ووظائفها، وتأثيراتها المتباينة: المحادثات اليومية، والأحاديث العلاجية، والمواد الصحفية، والحكايات، والقصص، والقصائد، ونصوص الدعاية، والخطب، وإرشادات، الاستعمال، والكتب المدرسية، والكتابات، والنقوش ، ونصوص القانون، والتعليمات وما اشبه)) [١١]. وقد يدور في خلد أحد أنَّ هذا ما تعتني به مدرسة تحليل الخطاب وسيتضح لاحقًا، وهذا ما يجرُّ إلى القول إنَّ الخلط بين مصطلحي لسانيات النص وتحليل الخطاب بدأ من مقولات فان دايك، وسنرى تصريحه مباشرة بهذا الشأن.

وقد أصدر دي بوكراند رؤية في تحليل النص للوقوف على مكامن النصية فيه، وشرحها بإسهاب في كتابه (النص والخطاب والإجراء)، وحاول إيجاد تطبيقات لها في محيطه، اذ يرى أنَّ النصية تتكوَّن بفعل سبعة معايير هي: الربط، والحبك، والقصدية، والمقبولية، والموقفية، والإعلامية، والتناص، وتجري تلك المعايير في ضوء المنطلقات اللغوية في المعايير الثلاثة الأولى، والسياقية في المعيارين الرابع والخامس، والبنيوية في المعيارين السادس والسابع، مع الإفادة من المعلومات الموسوعية في رصف النص وتحليله.

ويدور المعيار الأول السبك أو الترابط على الجزئيات الشكلية في النص، أي الكفاءة النحوية، والمعجمية في رصف الجمل، ووحداتها اللغوية، نحو: الحذف، والإحالة، والتعريف والتنكير، وإعادة اللفظ، والربط بوسائله المتعددة. ثم يأتي المعيار الثاني وهو الترابط المفهومي الذي يعتني بقوانين الدلالة عبر العلاقات الدلالية مثل: الشرط والجزاء، والإجمال والتفصيل، والعام والخاص وغيرها، أما القصدية فهي الغرض الذي يتوخاه المتكلم وما على المتلقي الا التفتيش عنه بوساطة الإجراءات اللسانية. والمعيار الرابع المقبولية وتتضمن موقف مستقبل النص وتلقيه. ورعاية الموقف هي المعيار الخامس تناقش العوامل التي تجعل النص مرتبطًا بما حوله. ويتناول المعيار السادس الإعلامية ما لا يتوقعه المتلقي من المتكلم لاسيَّما في المجازات. ثم التناص القائم على الاقتباسات وتداخل النصوص السابقة[١٢].

ومما هو ملاحظ على أطروحة دي بوكراند أنَّها أهملت المسار التداولي في صياغة النص وصياغة الخطاب، ولا أظن استقامة تكون في حال إبعاد المعطى التداولي من النص، إذ الدراسة النصية من دونها ترجع بك الى علم اللغة، والى إفرازاته البنيوية، ولم تحقق تعريفاته المتعددة التي ترى التواصلية فيه.

أكتفي بهذا العرض للنظريات النصية والسبب في ذلك لأنني ألفيت النظريات الأُخر والدراسات

التطبيقية النصية لا تخرج عما جاءوا به، فضلًا عن أنَّ هذه الإجالة السريعة في نتاجهم تجعلنا نعترف بأن لسانيات النص جمعت بين النسق اللساني وخارج اللساني. والذي يندرج في النسق اللساني هي الأنساق النحوية، والمعجمية، والصوتية لدى بعض الدراسات التطبيقية العربية[١٣]، والصرفية، ثم بعض الجزئيات البلاغية، والدلالية مؤطرة بإطار السياق والبعد الاستعمالي لها أي الجانب التداولي في كيفية صياغة تلك الإمكانات اللسانية على وفق قابليات المتلقي، ومدى استيعابه، وقد يتطلب الأمر الاستعانة ببعض المعلومات الثقافية في إنتاج النص وتفسيره. وقد أجمل فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر هذا الكلام بقوله: ((في ذلك كان المنطلق أنَّ المتكلم الذي ينتج نصًا يستعمل معارف مختلفة يمكن أنْ تنتظم في ثلاثة أنساق من المعارف وهي: علم لغوي. علم موضوعي أو علم موسوعي. عامل التفاعل الذي يشمل علم الإنجاز النظري، وكذلك العلم الخاص بالمعايير الاتصالية، وعلم ما وراء الاتصال)) [١٤].

المحور الثاني: مَن نادى بترادف المصطلحين

لا غبار في فهم توجهات لسانيات النص، إلا أنَّ المشكل في تصارع المصطلحات لتسمية هذا العلم، فقد برزت تسميات عدة منها: نحو النص، وعلم النص، وعلم لغة النص، وعلم دلالة النص، ولسانيات النص، وهنالك من سماه بـ(تحليل الخطاب) وبدأت هذه التسمية من فان دايك وتبعه من تبعه فيها، ويعزو سبب الفرق لدى الدارسين إلى البيئتين الانجليزية ، والفرنسية، فيقول: ((إنَّ مفهوم علم النص ليس بالغ القدم، غير أنَّه قد ترسخ منذ عشر سنوات تقريبًا، ففي المجال اللغوي الفرنسي سُمِّي (علم النص)، وفي الانجليزية سُمِّي (تحليل الخطاب)[١٥].

وبدأت دعوات مشابهة لِمَا جاء به فان دايك تشي بالتوحيد بين المصطلحين، ووجِدَت هذه الخطوة في كتاب فولفجانج هاينه وديتر فيه فيجر (مدخل إلى علم اللغة النصي) إذ أشارا في مُقْتبل كتابهما إلى نظرية تحليل الخطاب بوصفها مدخلًا إلى نظريات النص، مع عدم تحديد تسمية دقيقة لهذا العلم، تحليل الكلام، وتحليل المحادثة، ولغويات الحوار ، وبحث الحوار، وتحليل النقاش، وفي السياق نفسه أعربا عن التقارب، والالتقاء بين علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، ومدى انتفاع أحدهما من نتائج الآخر((وأصبح كل منهما يستقبل نتائج بحثية بشكل متبادل من الحقل الآخر))[١٦]، مع الإشارة إلى طول طريق الدمج بينهما، إلا أنَّه ثمة محاولات من لدن علماء كبار بدأت السيرَ في هذا الطريق للتوحيد بينهما أمثال: جوليش/ كوتشي، ١٩٨٧م، ورولیه ١٩٨٨م، وهوندزنرشر/فايجاند ١٩٨٦، وكولتهارد/ مونتجمري ١٩٨٤م، وكانيسيوس ١٩٨٦م[١٧].

وفي الأمر نفسه أشار باتريك، ودومينيك صاحِبا (معجم تحليل الخطاب) إلى العلماء الكبار الذين رادَفوا بين تحليل الخطاب ولسانيات النص: ((يطلق بعض الباحثين على غرار ز.س هاريس (تحليل الخطاب) على ما يسمَّى أيضًا باللسانيات النصية، هذا هو شأن م. شارول، وب.كومبات))[١٨].

أما العرب، فبدورهم قد أسهموا في بث ذلك الترادف بين المصطلحين، فقد تعامل محمد خطابي مع المصطلحين وكأنَّهما واحد، حينما أدرج نظرية تحليل الخطاب لدى (براون) و(يول) أو مشروعهما مع مشروع هاليداي ورُقَية حسن، ومشروع فان دايك، فهذا يدل على أنَّهما تأطَّرا بعنوان رئيس لكتابه لسانيات النص.

وقد ساوى الدكتور نعمان بوقرة بين المصطلحين، وعقد الباب الأول من كتابه (لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء) بعنوان (تحليل الخطاب تنظيرا)، وتحدث فيه عن نشأة لسانيات النص، وطبيعتها، وأدوات التماسك النصي. وهذا يعني عنده أنهما شيء واحد[١٩].

وهناك من صرَّح بتساوقهما بصورة وصفية لاسيما المغاربة، فتقول كورنيليا فون راد صكوحي: ((مع الملاحظ أنَّ العبارة تحليل الخطاب أو دراسة الخطاب في كثير من الدراسات الانقلو ساكسونية تستعمل اليوم في معنى لسانيات النص))[٢٠].

وقد حاولت الباحثة بسمة بلحاج الشكيلي نسبة هذا الترادف الى الغربيين وتعليله بسبب النظر إلى الخطاب على أنَّه النص بقولها: ((اختلف الباحثون الغرب في تحديد موضوع تحليل الخطاب، ففي حين أطلق البعض هذا المصطلح على ما يسمى بـ(لسانيات النص) باعتبار أن الخطاب هو وحدة لسانية متكونة من متتالية من الجمل))[٢١].

وبعض الباحثين اعترف بصعوبة الفصل بينهما وهو الدكتور بهاء الدين محمد مزيد بقوله: ((ولا سبيل إلى فض الاشتباك بين تحليل الخطاب من ناحية، وتحليل النص، أو لغويات النص، وتحليل الحوار أو المحادثة من الناحية الأخرى؛ لأنَّها تلتقي جميعًا في غير موضع، وتنطلق من نفس الانشغال بالسياق، والجوانب الدلالية، ووظائف اللغة، وتتجاوز حدود المفردة، والعبارة، والجملة إلى ما يتشكل منه الخطاب أو النص الذي يشمل من وجهة نظر تحليل الخطاب كل ما هو مكتوب أو شفهي))[٢٢].

المحور الثالث: مفهوم تحليل الخطاب

آن أنْ أعرض مفهوم الخطاب، وطبيعة المنهج الذي يدرسه ليتسنى الاطلاع على المصطلحين وتبيان مدى الاختلاف بينهما وتهاوي الأطروحة التي ترى تساوقهما.

الخطاب مصطلح لم يتضح مفهومه، ولم يصل حد الاستقرار في الدرس النقدي الحديث، والدرس اللساني أيضا؛ لكونه مصطلحا ولد، وترعرع في أحضان الفلسفة، ثم استعارته هذه الأبحاث النقدية، واللسانية، فسيصعب تحديده، فضلًا عن تعدد المنطلقات فيه بين البعد اللغوي، والمحادثي، والمكتوب، والمجال السياسي، والاجتماعي، وهذه هي أهم ما يميز الخطاب عن النص إذ يحدده ميشال فوكو ((بأنَّه شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه))[٢٣]. وقد أوضح الدكتور نعمان بوقرة طبيعته من جهة اعتماده على جانبين الأول: اللغة، والآخر الأبعاد المحركة له بحسب فوكو: ((والخطاب يتنوع بتنوع الطرق التي

يتخذها المتكلمون أو الكتَّاب وذلك بحسب مواقف اجتماعية وثقافية محددة، فتنتج بذلك أنواعا كثيرة من الخطابات، مثل الخطاب الديني، والخطاب العلمي، والخطاب السياسي، والخطاب البيداغوجي، وبالرغم من أنَّ الخطاب يتوسل دائمًا اللغة في غاياته، فإنَّ جوهره في حقيقة الأمر ليس لغويًّا ، إذ هو مجموعة من النوايا التي تتحقق بوساطة اللغة))[٢٤]. ولعل هذا ما استقر عليه الدرس النقدي الحديث انطلاقًا من المؤسس الحقيقي له هو فوكو ((وهكذا فالنص ذو بعد لغوي، أما الخطاب، فذو بعد اجتماعي ، النص في اللسانية كيان مستقل، ومعزول عن محيطه، وظروفه أي عن سياقه، أما الخطاب فهو النص منظورًا إليه في سياقه خصوصًا الاجتماعي))[٢٥].

والمنهج الذي يدرس الخطاب يسمى بـ(منهج تحليل الخطاب)، بداياته كانت مع ألسُنيين مشهورين، منهم باختين، وهاريس، وجورج ويول، نورمان فاكلوف. سأعرض نظرياتهم باختصار غير مخل؛ ليتضح مدى الافتراق بينه وبين لسانيات النص، ومن ثَمّ ينجلي هدف البحث. وقبل ذاك أذكر تعريف تحليل الخطاب بأنَّه ((دراسة استعمال اللغة مع الإشارة إلى العوامل الاجتماعية، والنفسية المؤثرة في التواصل[٢٦]. وله ميزة تتلخص بجرِّه البحث الألسُني نحو الثقافة المجتمعية، والسياسية، وبتعبير آخر تشخيص الأدلجة في اللغة وهذا ما أكده براون ويول: ((يغطي تحليل الخطاب discourse analysis مجالًا واسعًا جدًا من الفعاليات، يمتد من الدراسة الثانوية لكيفية استعمال كلمات مثل (أوه) و(حسنا) في حديث عرضي إلى دراسة الأيديولوجية السائدة في ثقافة معينة ممثلة على سبيل المثال بممارستها التعليمية أو السياسية))[٢٧].

يعد هاريس مؤسّساً لتحليل الخطاب في بحثه الذي نشره بعنوان (تحليل الخطاب) سنة ١٩٥٢م في مجلة Languages في عددها الثالث عشر، إذ ركز فيه على ترابط الخطاب، واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي، مع تجاوز النظر إلى الجملة إلى ما هو خارج عنها، ليربط بين اللغة ومحيطها الاجتماعي[٢٨].

وهذا المنوال هو الذي نادى به باختين والغالب على فكره لمَّا اعترف بقصور اللسانيات في احتواء موضوع التلفظ بسبب الاهتمام بالجملة، وترك الخطاب[٢٩]؛ لذا توجه لتدبُّر المكون الثقافي والأيدولوجي في الأدب، ورأى أنَّه سبيل لتشكل الخطاب الاجتماعي عِبْرَ اللغة في نظرية الرواية ، ونظرية الإضحاك، والثقافة الشعبية [٣٠]. وتجاوز العلمية والموضوعية التي قامت عليهما المناهج السابقة يؤهل الخطابات إلى الإبداع والتلقائية [٣١].

أما براون ويول في مشروعهما (تحليل الخطاب) القائم على اللغة، والسياق، والتواصل (التفاعل)، والاستعانة بأدوات اتساق النص، وانسجامه، وظروفه، والأفعال القولية، مع النظر إلى وظيفتي اللغة التعاملية والتفاعلية. والتعاملية تعني نقل المعلومة. والتفاعلية تعني الاتصال بين المتكلم والمتلقي، وينطبق ذلك على اللغة المحكية والمكتوبة [٣٢]، ولما يدخل ظروف التواصل في النص هذا يعني دخول

السمات الاجتماعية في عمله، إلا أنَّه يركز بالدرجة الأولى على المقاربة اللسانية، وتأويلات المتلقي.

في هذا العرض السريع لمنظور تحليل الخطاب لدى هاريس، وبراون ويول تجد النسقية اللسانية واضحة فيه مع الانطلاق من المجتمع، ويؤكد نورمان فاكلوف على تلك النسقية الألسُنية ويربطها بالمعطى الاجتماعي للنصوص أيضًا، فيقول: ((تستند معالجتي في دراسة الخطاب (صيغةٌ من صيغ التحليل النقدي للخطاب) إلى التسليم بأنَّ اللغة جزء من الحياة الاجتماعية لا يمكن اختزاله، وبينه وبين عناصر الحياة الاجتماعية الأخرى عَلَاقة منطقية جدلية تجعل من الضروري أنْ يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغةَ دائمًا بعين الاعتبار))[٣٣]، ولكي يميز نورمان فاكلوف بين التحليل اللساني وتحليل الخطاب سمَّى منهجه بـ(التحليل النقدي للخطاب) المنطلق من الممارسات الاجتماعية عِبْرَ النحو، والدلالة[٣٤].

بعد الإجالة في مفهومي لسانيات النص وتحليل الخطاب يتضح أن دراسة المنهج الأول تنحصر في دراسة النص في ضوء إمكاناته اللسانية مع الميل إلى التواصلية فيه، فيدخل السياق أو المؤثرات الخارجية والتداولية لاسيما أفعال الكلام. ويجمل زتسيسلاف القول في موضوع علم النص هو: ((بناء النص، أي بناء وحدات درجة هرمية في بعد الجوار اللغوي الذي يقع في درجة الجملة))[٣٥]. أما في تحليل الخطاب فقد يتحرر المحلل من عنق النص، ويبقى مشغله مجالات هذا النص أو قواعد استعماله نحو البعد الفكري، والاجتماعي بالدرجة الأولى مع ميله إلى القواعد اللسانية في إطار توظيفها لتلك القواعد والمنطلقات الفكرية؛ لأنَّ المقاصد لا تُمرَّر إلا عبر اللغة وقوانينها، ومنظوماتها، وهذا ما أجمله نورمان فاكلوف حكاية عن فوكو: ((إنَّ تحليل الخطاب عند فوكو هو تحليل مجال الأقوال الخبرية أي النصوص والمقولات باعتبارها عناصر مكونة للنصوص. لكن ذلك لا يعني الاهتمام بتحليل تفصيلي للنصوص، إنما بالقواعد التي تحكم مجموعات من النصوص والمقولات))[٣٦].

المحور الرابع: أسباب الخلط بين المصطلحين

يجري هذا المحور بإجلاء نتيجة مهمة وهي افتراق هذين المنهجين من جهة معالجة النص، ويترتب على هذا الافتراق افتراق المصطلحين، وما حدث من خلط له أسبابه هي:

١- غموض نشأة علم لسانيات النص، فقد رجع بها بعض الدارسين إلى هاريس في بحثه الأول مع أنه معني بتحليل الخطاب.

٢- تصريح فان دايك بالمساواة بينهما وارجاعه الى المكان، ففي فرنسا يسمى بعلم النص وفي بريطانيا يسمى بتحليل الخطاب.

٣- عدم إحاطة الدارسين بمفهوم تحليل الخطاب ؛ لباكورته وجدة تأسيسه.

٤- الضبابية في إدراك معنى النص، واختلاطه مع مفهوم الخطاب، فقد يخيل لمن يساوي بينهما، أو لمن يدرسهما أنَّ المنهج هو هو، فيدمج بينهما.

٥- عدم إدراك طبيعة اشتغال المنهجين، إذ يشتغل

لسانيات النص بتحليل نص واحد، أو نصوص مختلفة تمامًا، بينما لا يشتغل تحليل الخطاب إلا على نصوص موحدة وهذه الخصلة الأساسية للخطاب.

٦- تعدد تسميات العلم الخاص بالنص لدى المؤسسين أنفسهم، فعلم لغة النص ظهر لدى فاينريش، وعلم النص لدى فان دايك، ودي بوكراند ودريسلر وغيرهم.

٧- تعدد البيئات التي ولد فيها علم النص، ففي اسبانيا كان فاينريش، وفي هولندا فان دايك، وفي أمريكا دي بوكراند، وفي ألمانيا زتسيسزلاف، وهذا التعدد يؤشر عدم توحيد المصطلح، فيترك المجال لسحب مصطلح تحليل الخطاب.

٨- تعدد مفاهيم مصطلح تحليل الخطاب نفسه لدى بعض الدارسين، فقد يساوي تحليل الجملة لسانيا، أو البحث عن المضمر في حال المخاطبة، والمعنى الثالث ما عرضناه بحسب البعد الاجتماعي [٣٧].

٩- ومنها أيضًا أنَّ تقارب نشأتيهما بوصفهما مقابلًا للسانيات الجملة يقود إلى الخلط بينهما.

١٠- اشتراكهما ببعض المرجعيات، المرجعية اللسانية، ومرجعية أفعال الكلام، ومرجعية التواصل القائمة على رصد المعاني المضمرة، فضلًا عن دعوتهما إلى ترك التضييق في البحث اللساني والانطلاق الى التفاعل مع العلوم الإنسانية.

ختاما أقول إنَّ نقطة الانطلاق في توحيد المصطلحين بدأت من الدراسات الغربية بخاصة فان دايك وبعض آخر منهم: جوليش/ كوتشي، وكانيسيوس ، وهوندزنرشر/فايجاند، وغيرهم، وهذا الدمج كان ممارسة واعية منهم. وقد ردد الدارسون العرب ذلك الترادف من دون تمحيص ووعي، أو بتعبير آخر وصفوه وصفًا، وهذا ما توافر على جهد محمد خطابي ، ونعمان بوقرة. وما يعزز التفريق بينهما اختلاف المنظومتين الفكريتين لكل منهج، واختلاف الروَّاد لهما.

الهوامش

١- بوسع من أراد الاطلاع على هذه الاتجاهات ينظر في: النثر الصوفي في ضوء لسانيات النص (خالد حوير الشمس): ٢١ – ٢٣. رسالة دكتوراه، آداب بغداد، ٢٠١٣م.

٢- مدخل الى علم النص مشكلات بناء النص (زتسيسلاف واورزنياك): ٦٧.

٣- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية: ١/ ٢٩.

٤- ينظر: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري (الدكتور أحمد مداس): ١٤.

٥- ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات (الدكتور سعيد حسن بحيري): ٨١.

٦- ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (د. محمد خطابي): ١١.

٧- ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٢.

٨- ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:٢٢١ وما بعدها.

٩- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ١٨.

١٠- ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٦- ٣٢.

١١- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ١١.

١٢- ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣- ١٠٤.

١٣- هنالك من الدارسين من أدخل الجانب الصوتي في لسانيات النص لاسيما العرب لاعتماد العربية عليه ومنهم: عزة شبل في كتابه علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٥ وما بعدها. وحسام أحمد الفرج في كتابه نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري : ١١٦ وما بعدها.

١٤- مدخل إلى علم النص: ١٤٩.

١٥- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ١٤.

١٦- مدخل إلى علم اللغة النصي: ١٠١.

١٧- ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: ١٠٠- ١٠١.

١٨- ينظر: معجم تحليل الخطاب: ٤٤.

١٩- ينظر: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء: ١٣- وما بعدها.

٢٠- لسانيات النص او لسانيات ما بعد الجملة وما قبل الخطاب، بحث ضمن كتاب مقالات في تحليل الخطاب: ٥٠. وكذلك كرر في ص ٧٢.

٢١- قراءة في بنية التفكير البلاغي العربي انطلاقا من مفهوم الخطاب، بحث ضمن كتاب مقالات في تحليل الخطاب: ١٢، الهامش. وللأمانة العلمية أن الباحثة ذكرت رأيين آخرين مفهوم تحليل الخطاب، الاول أنه دراسة

الخطاب باستعماله الواقعي للغة في مقامات حقيقية، والاخر باعتباره نشاطا لغويا تعامليا يختص بالمحادثة.

٢٢- من أفعال اللغة الى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية: ٨٧- ٨٨.

٢٣- دليل الناقد الأدبي اضاءة لأكثر من سبعين تيارا نقديا (سعد البازعي وميجان الرويلي): ١٥٥.

٢٤- لسانيات النص مباحث في التأسيس والإجراء: ٢٠.

٢٥- النقد النصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات (د. نبيل أيوب): ٢٣١.

٢٦- التداولية (يول): ١٨٨.

٢٧- التداولية (يول): ١٢٨.

٢٨- ينظر: اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تحليلية، بحث مجلة عالم الفكر: ٢٢١.

٢٩- تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات، أحمد يوسف، بحث منشور على الانترنت .www mohamedrabeea.com: ٩.

٣٠- ينظر: الخطاب الأدبي والمفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب عند باختين (بسمة عروس) : ٩٢ ضمن كتاب مقالات في تحليل الخطاب.

٣١- النقد النصي وتحليل الخطاب: ٢٣٢.

٣٢- ينظر: تحليل الخطاب: ٢- ٣.

٣٣- تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ١٩.

٣٤- ينظر: تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي : ٢١.

٣٥- مدخل إلى علم النص بناء مشكلات النص: ٤٢.

٣٦- تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٢٣٤.

٣٧- ينظر: دليل الناقد الأدبي: ١٥٥.

المصادر والمراجع

١- اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تحليلية، تأليف الدكتور نعمان عبد الحميد بوقرة، بحث مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، العدد ١ المجلد ٤٢ سنة ٢٠١٣م.

٢- تحليل الخطاب، تأليف ج. ب براون، و ج يول، ترجمة وتعليق: الدكتور محمد لطفي الزليطي والدكتور منير التريكي، د. ط، دار المطابع، الرياض- السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣- تحليل الخطاب التحليل النّصّي في البحث الاجتماعي، تأليف نورمان فاكلوف ط١، ترجمة الدكتور طلال وهبه،المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٤- تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات، أحمد يوسف، بحث منشور على الانترنت www. mohamedrabeea.com.

٥- التداولية، تأليف جورج يول، ترجمة الدكتور قصي العتّابي، ط١، دار الأمان، الرباط المغرب العربي، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٦- الخطاب الأدبي والمفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب عند باختين، تأليف بسمة عروس، بحث ضمن كتاب مقالات في تحليل الخطاب مجموعة باحثين تقديم حمادي صمُّود، منشورات وحدة البحث في تحليل الخطاب، كلية الآداب والفنون الإنسانيات بجامعة منوبة، ٢٠٠٨م.

٧- دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا، تأليف الدكتور ميجان الرويلي، والدكتور سعد البازي، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م.

٨- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، تأليف الدكتور سعيد حسن بحيري، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٩- علم لغة النص النظرية والتطبيق، تأليف الدكتورة عزة شبل محمد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٠- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، تأليف الدكتور صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤٣١هـ- ٢٠٠٠م.

١١- علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تأليف تون أ.فان دايك، ط٢، ترجمة الدكتور سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٥م.

١٢- قراءة في بنية التفكير البلاغي العربي انطلاقا من مفهوم الخطاب، بحث ضمن كتاب مقالات في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة وحدة البحث في تحليل الخطاب، ٢٠٠٨م.

١٣- لسانيات النص أو لسانيات ما بعد الجملة وما قبل الخطاب، بحث ضمن كتاب مقالات في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة وحدة البحث في تحليل الخطاب، ٢٠٠٨م.

١٤- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، تأليف مُحمد خطابي، ط، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ١٩٩١م. لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، تأليف الدكتور نعمان بوقرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠١٢م.

١٥- لسانيات النّصّ نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، تأليف الدكتور أحمد مداس، ط٢، عالم الكتب الحديثة، إربد- الأردن، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٦- مدخل إلى علم اللغة النصي، تأليف فولفجانج هاينه مَن، ديتر فيهفيجر، د.ط، ترجمة: الدكتور فالح شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض- السعودية، ١٤١٩هـ.

١٧- مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النص، تأليف زتسيسلاف واورزنياك، ط٢، ترجمة: الدكتور سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٨- معجم تحليل الخطاب، تأليف باتريك شارودو و دومينيك منغنو ومجموعة باحثين، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمَّادي صمّود، د.ط، منشورات دار سيناتر، المركز الوطني للترجمة تونس، ٢٠٠٨م.

١٩- من أفعال اللغة الى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية، تأليف الدكتور بهاء الدين محمد مزيد، ط١، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.

٢٠- النثر الصوفي في ضوء لسانيات النص، تأليف خالد حوير الشمس، رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة بغداد، ٢٠١٣- ١٤٣٤هـ .

٢١- النص والخطاب والإجراء، تأليف روبرت دي بوكراند، ط١، ترجمة الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٢- النّصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تأليف فان دايك، د.ط، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م.

٢٣- نظرية علم النَّص رؤية منهجية في بناء النَّص النثري، تأليف الدكتور حسام أحمد الفرج، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ١٤٢٨ه- ٢٠٠٧م.

٢٤- النقد النصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات، تأليف الدكتور نبيل أيوب، ط١، لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ٢٠١١م.

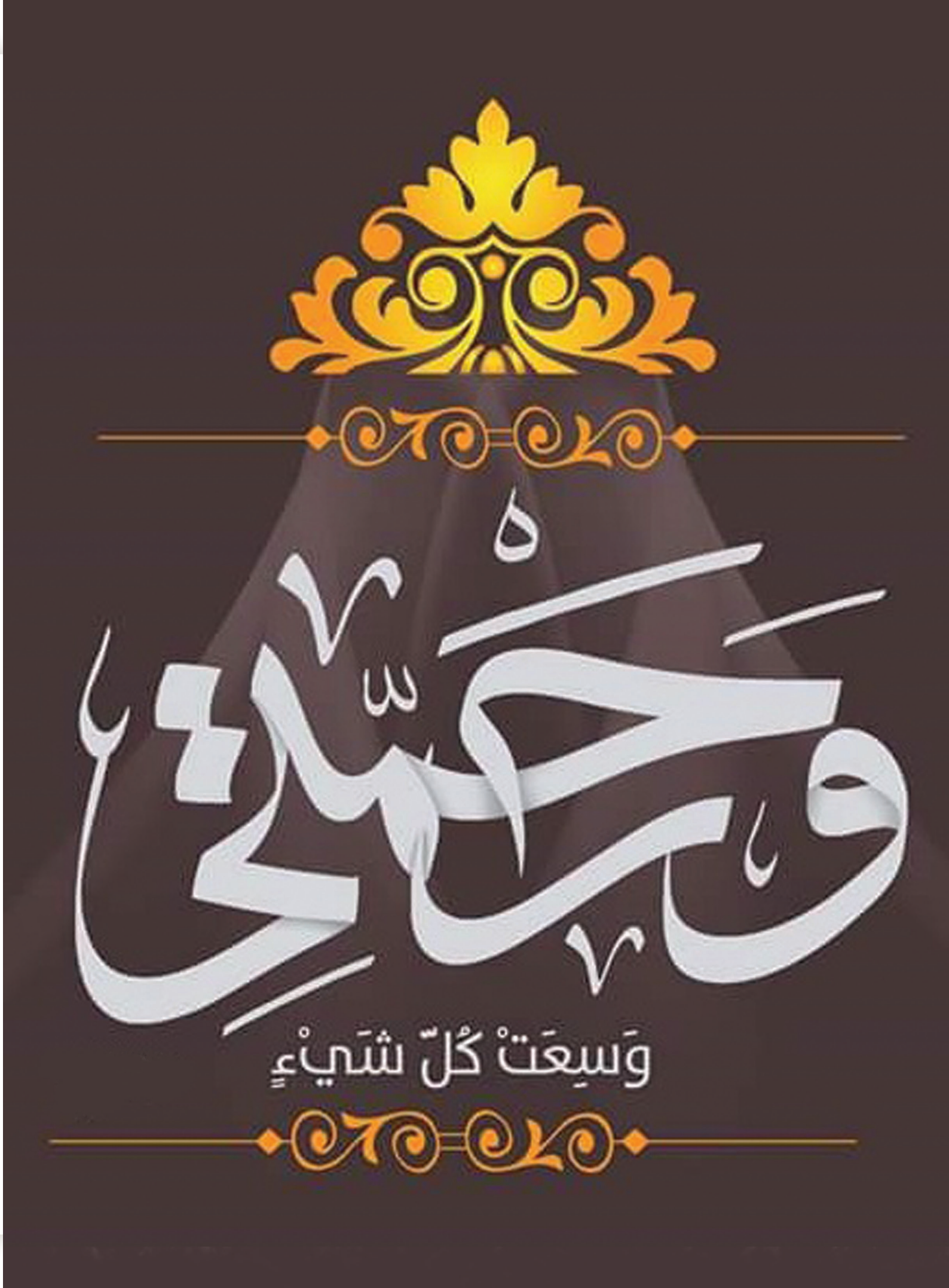
رَحْمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ